



ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: <https://lark.uowasit.edu.iq>



*Corresponding author:

**Asst. prof. Dr. Alaa
Kadhim Masood**

University: Wasit University

College: College of Arts

Email:

Alaakahdem33@gmail.com

Keywords:

Reification, awareness,
instrumental mind,
counterfeiting,
communication

ARTICLE INFO

Article history:

Received 20 Apr 2023

Accepted 8 May 2023

Available online 1 Jul 2023

**The self from reification to falsification
in the light of critical theory**

A B S T R U C T

The philosophers of the Frankfurt School worked on analyzing the metaphysical self under capitalism, which transformed man into inanimate things that can be traded, just as in the case of commodities and consumer goods. Not only objectification, but we find many concepts that characterize the state of alienation, including alienation - self-alienation from the subject and from what you live and practice in daily life and the confiscation of individual consciousness and made it constrained by the limitations of technology and machine. Therefore, the research came to show the status of the self in light of the dominance of commodities, and here is the human being as a consumer, as well as the human being in light of the authority's falsification of his consciousness as an individual as it is in Habermas.

© 2023 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: <https://doi.org/10.31185/>

**الذات من التشيؤ الى التزييف
في ضوء النظرية النقدية**

أ.م. د. علاء كاظم مسعود /قسم الفلسفة/ كلية الآداب/ جامعة واسط
الخلاصة:

عمل فلاسفة مدرسة فرانكفورت على تحليل الذات المتشيؤة في ظل الرأسمالية التي حولت الانسان الى اشياء جامدة يمكن تداولها حاله في ذلك حال البضائع والسلع المستهلكة. ليس التشيؤ فقط بل نجد العديد من المفاهيم تتصف بها حالة الاستلاب منها الاغتراب – اغتراب الذات عن الموضوع وعن ما تعيشه وتمارسه في الحياة اليومية ومصادرة الوعي الفردي وجعلته مقيد بقيود التقنية والالة. لذلك جاء البحث ليبين وضع الذات في ظل هيمنة السلع وهنا الانسان بوصفه مستهلك وكذلك الانسان في ظل تزييف السلطة لوعيه بوصفه فرد كما هو عند هابرماس.

- المقدمة.

الذات محطة وانطلاقة في كل الفلسفات ومنها النظرية النقدية التي جاءت بها مدرسة فرانكفورت في مطلع العشرينيات من القرن العشرين، وان كانت بدايتها مع كانت وهيجل ، التي انشغلت بواقع الانسان الاجتماعي والاقتصادي متأثرة بذلك بالماركسية ومنفصلة عنها. لذلك ما جاءت به من النقد هو جزء من رد الاعتبار للذات الانسانية التي انصهرت بالمادة والالة وان قيمتها ليس بذاتها وانما بما تكسب جراء التأثير الصناعي على الانسان، فعلى الرغم من دعوات التحرر والتقدم الا انها هذه الدعوات استوعبت الانسان واختزلته الى شيء، فجاء النقد ليعيد مركزية الذات، النقد الذي طال الثقافة المصنعة والفن بوصفه شيئاً (التشيؤ) مع أدنوا، وحل الاغتراب بعودة الانسان الى ذاته كطريقة للخلاص .

قد يشكل بعد الذات عن الاخرين- كما في الاغتراب- وسيلة للعزلة كما ذهبت الى ذلك حنة ارندت ومن ثم تهيئة ظرف ملائم للإرهاب، وقد لا يكون كذلك عند فلاسفة النظرية النقدية فقد نجد اريك فروم يجعل العزلة فناً للأصغاء ومن ثم طريق للأبداع في فهم الانسان ذاته من خلال الانصات اليها من خلال الموسيقى والفن، ويرجع ذلك الى طبيعة النظام الاقتصادي الرأسمالي او الاشتراكي فالإنسان القديم يخلد الى النوم مبكراً لطبيعة عمله في النهار الباكر بينما لا يكون كذلك في النظام الرأسمالي الذي يتأخر اثناء النوم ، كل ذلك يحدد موقع الذات من الانسان ذاته والآخرين.

في خضم العلاقة بين الذات والآخر، هل تبقى الذات متفوقة داخل الانسان ولم تخرج الى الاخرين بسبب سوء الفهم وبذلك نحتاج الى ادوات للتعامل والفهم ولا يكون التأويل كافياً عند جاديمير في أهمية اللغة كما عبر ذلك هابرماس بضرورة حضورها ولا يعني بذلك اللغة كقواعد ونحو، وانما اللغة كنظام للحوار في العيش المشترك وخلق فضاء حقيقي ينتجه الوعي بعيداً عن التزييف - تزييف الوعي الذي تنتجه الحكومات لتضليل العقل والرأي العام، وهذا ما جاء به هابرماس من أهمية العلاقة مع الاخرين، في أخلاق الحوار والتواصل كأساس للتفاهم لا تنهض الا من خلال اللغة التي يشترك فيها الجميع في عيش أمن مستقر بعيداً عن مخاضات المخاطرة.

لذلك ستختص الدراسة بالتركيز على فلسفة ادورنو بتشيو الذات ووصف الانسان شيئاً مادياً ليس له جانب روحي او عاطفي وبين محاولة هابرماس من امكان ايجاد تواصل حقيقي او غير مزيف بين الذوات من خلال العقل التواصلي مقارنة بالعقل الادائي الذي نقد من قبل فلاسفة الجيل الاول من هذه المدرسة التي اهتمت لغة

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة واسط بتاريخ 2023/7/1

الحوار والتواصل بين الجماهير مركزة على علاقة الانسان بالاقتصاد والاشياء. الا ان نقطة اشتراكهما في البنى الثابتة في التشيؤ والتزييف وهذا ما تختلف به الذات المرنة باختلاف لغة الخطاب وفلسفته حسب فوكو.

اولا- العلاقة بين الذات والموضوع.

شغل موضوع الذات الفلسفة منذ بداياتها الاولى أن الذات ومنذ ولادتها- وفي سياق الفكر الفلسفي الحديث- قد اتجهت نحو الاستقلال بذاتها والسيطرة على كل ما سواها من الاشياء والموضوعات، فالذات المفكرة من المنظور الذاتي تملك الثقة الكاملة في قدرتها وامكاناتها الذهنية وتتعامل مع عالمها الخارجي أو الطبيعة باعتبارها موضوعا قابلا للمعرفة، وبالتالي استخدامها كوسيلة أو اداة، فتحقق الذات عنده الجوهر الذي يمكن أن نعرف قوانين الطبيعة وحقائق الكون (مجموعة مؤلفين، 2011، ص 18).

ان جدل الذات – الموضوع قديما اختلف حسب الفلسفة السائدة تارة تكون الذات متمركزة وتارة اخرى الموضوع ، اما المادية واما المثالية في التمييز بين الجوهر والعرض قد لايزال قائماً في الفكر الغربي المعاصر، أو قد لا يحاكي الفلسفة المادية المعاصرة في توافقها مع عالم الظواهر. بالنسبة الى دورنو،(1903-1969م) "فان عالم الظواهر، كما كان الحال بالنسبة الى افلاطون من قبله هو عالم الصور والاشياء فقط انه عالم النسبية والاكثر من ذلك هو عالم التشيؤ: الذي هو عالم السلع في العلم الرأسمالي الذي قد يكون متماتلان تقريباً، فالسلع تتخذ حياة خاصة بها بشكل مستقل عن شروط انتاجها" (ليشته، 2008، ص359) ، وهذا لم يكن مختلف مع كائط في سيطرة الذات او تشيئها، فاذا الكائطية تعطي الدور في سيطرة الذات فان ذلك لم يكن مع ماركس الذي معه بدأت فكرة التشيؤ، "اذا اعتقد الانسان الذات أنه قد صنع الآلة الموضوع ليستخدمها ويسخرها لخدمته، فإنه لا يلبث أن يقع في النهاية تحت سلطتها ويصبح تابعا لها" (مجموعة مؤلفين، 2011 ، ص61) فأن الآلة مع أفادتها للإنسان فهي تقوم ببتره. في ظل شكل الآلة يتطور العقل المتشيء نحو مجتمع يصلح الفكر المتجمد في التجهيز المادي والفكري مع ما يعيش حراً مرسلاً هذا الفكر كما الى ذاته الفعلية، لا قسمة بين أصل الفكر النوعي وبين منظوراته الكونية، وبمجرد أن صار العالم عالماً صناعياً صار بإمكان المنظورات الكونية والتحقق الاجتماعي للفكر أن يمتد بعيداً (هوركهايمر، 2006، ص60).

يواصل دورنو مجدداً فكرة التشيؤ التي صاغها ماركس وطورها جورج لوكاتش(1885-1971) ليسقطها على نقده للثقافة، وان ابتعد عن ما جاءت به الماركسية في صبغتها الاقتصادية، فقد كان يقصد لوكاش

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة

واسط بتاريخ 2023/7/1

بالنثيؤ" تحول العلاقات الانسانية في ظل النظام الاقتصادي الراسمالي الى اشياء جامدة وخاضعة لمنطق التبادل التجاري بالصورة التي يتحول فيها البشر الى سلع أو بضائع، بحيث يخضعون لقوى وأشياء خارجة عن إرادتهم" (هونيث، 2012. ص20) اما أدرنو يظهر في الجدل السلبي نقداً كاسحاً لعلاقة الهيمنة القائمة بين الذات والموضوع، اذ يركز على فكرة النثيؤ في تحليله لبنية الثقافة في المجتمعات التقنية ما بعد الصناعية عالية الادارة التي تذوب فيها الذات كلياً في الموضوع و تستغرق بكليتها بحيث يستلب الوعي نهائياً ويصبح غير قادر ابدأ على ان يقيم علاقة تأملية تسمح له بتقييم الموضوع ونقده (مجموعة مؤلفين، 2011، ص61) في المجتمعات الما بعد صناعية ذات الضبط الاداري العالي يختنق الوعي النقدي كلياً وتبتلع الذات في الموضوع برمتها، وبمعنى اخر تنثيؤ الذات في موضوعها ويطبق عالم الاشياء الخناق على عام الافكار، هكذا تختفي الانا في تلك المجتمعات، بل وتموت نهائياً، فتغرق الذات الواعية الناقدة في لجة تيار ثقافي استهلاك مستلبة ومنمطة لآليات التفكير. (مؤلفين، 2011، ص16) وبذلك لم يعد الوعي حراً بل معاد انتاجه او مزيفا كما سيذهب الى ذلك فيما بعد هابرماس .

ومشكلة المسافة التي تحدد المنهج او الذات والموضوع لها اهمية كبيرة في الدراسات ولاسيما الانسانية اذ لا فاصل بين الانسان والذات الانسانية لذلك تبقى محل تأمل على العكس من العلوم الطبيعية، في الفصل بين المنهج والموضوع سواء في علم الاجتماع او الفلسفة لا لوجود لتناقض شيئي بين المجتمع المكون من بشر أحياء هو موضوع الدراسة، وان كان النثيؤ او الشينيئية حولت الانسان الى جماد او شيء ثابت يمكن نقله او تصيره وهذا متوقف على تحديد الوعي عند الفرد، فمن نتائج العلم اختزلت الانسان وسيطرت على تفكيره وبذلك يتحول الانسان من سيطرة الطبيعة الى سيطرة التقنية. والنتيجة ان النثيؤ يقطع وحدة الذات والموضوع، وحدة المنتج والمنتوج، الفكر والمادة، والمفكر لا يقوم بعد ذلك سوى بملاحظة هذه القطيعة بالنظر إليها على انها ظاهرة اساسية وطبيعية في الحياة البشرية (غولدمان، 2009، ص194).

في بحث العلاقة بين الموضوع والذات يطرح ادرنو قضية العلاقة بين الذات العارفة- ذوات تريد ان تعرف، وبين موضوع يجب معرفته، فالذات والموضوع كلاهما واحد، الذات ابن المجتمع والمجتمع موضوع الذات ، فالشبيه يعرف شبيهه كما تقول الفلسفة الاغريقية، وهذا موضوع ادرنوا في النثيؤ فاذا تماهت الذات مع المجتمع وقعنا في النثيؤ واذا تعالت اصبح البحث مثاليا بعيدا عن الواقع (أدرنو، ص8-9). وهذا هو محور الفلسفة النقدية حول العقل الاداتي ولعلها الاشكالية الاساسية في نقد هذا العقل والتي اثارها فلسفة الانوار التي سبقت مدرسة فرانكفورت في ان العقل بعد تحرر من هيمنة الطبيعة وقع تحت هيمنة

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة واسط بتاريخ 2023/7/1

التقنية، فالفلاسفة اشتغلوا كثيرا على تحرير العقل من الاسطورة والخرافة لكن هنا الخرافة متجددة بلباس التقنية والحداثة ولعل كتاب جدل التنوير لفلاسفة مدرسة فرانكفورت الاوائل مشبع بهوموم الانسان المعاصر بعد اغلاله بأغلال الالة. وكان مشروعها قائم على التساؤل لماذا الانسان نغرق في شكل جديد من البربرية الذي يدخل ضمن التدمير الذاتي للعقل، وبعبارة اخرى كيف استطاع العقل الانساني ان يدخل في ازمة جذرية لهذ الحد مع نفسه (بول، 2005، ص113).

كان من ضمن فلسفة ادنونا وقبله هوركهايمر كما في كتابهما جدل التنوير الدفاع في تحرير الانسان من الاسطورة مهما اختلف شكلها اذ نجد صراع الذات مع العقل او الخروج عنه مع الاسطورة ولعل فلسفة الانوار كان هدفها تحرير العقل. فهل التنوير يعد حركة تجديدية في الفلسفة اذا ما عرفنا فلاسفة فرانكفورت قصدوا بالتنوير التقدم، لم يتحرر العقل من هيمنة الخرافة او الاسطورة كما يذهب الى ذلك ادنونا وانما اختلف شكل الهيمنة فنجد في ظل التقدم والعلم اصبح الانسان اسيرا للتقنية والاشياء التي تنتجها" إن السيرورة التقنية التي تشيأت الذاتية فيها بعد أن استلت من الوعي ... ذلك ان العقل بالذات ليس أكثر من مساعد للالة الاقتصادية التي تشمل كل شيء. إنها تعمل كما لو كانت أداة كونية تناسب صناعة الآلات الاخرى العقلانية المحضة المثقلة بالأخطار شأن مداولات الانتاج المادي المحسوبة جدا والتي لا يمكن احتساب نتائجها" (هوركهايمر، 2006، ص 52).

وفي هذا لا فرق بين العقلانية التقنية وعقلانية السيطرة بالذات، أنها سمة المجتمع المتغرب، فالسيارات والافلام والقنابل تؤمن ترابط النظام الى درجة ان وظيفتها القائمة على التسوية قد انعكست على الظلم الذي حفزته، لم تصل تقنية الصناعة الثقافية الا الى جعل الانتاج مقتناً، انها صناعة أشياء متماثلة ، مضحية بكل ما يشكل فارقا بين منطق العمل ومنطق النظام الاجتماعي (هوركهايمر، 2006، ص143).

يصاحب عمل التنوير عمل التجريد الذي هو ادار التنوير والعقل، فيتصرف اتجاه موضوعه كما يتصرف القدر الذي يقوم العقل بحذف مفهومه: انها محاولة تصفية. في ظل سيطرة التجريد الذي يساوي بين كل شيء والذي يجعل كل شيء في الطبيعة لقابلا لإعادة الانتاج، يصيح الناس الاحرار بحد ذاتهم هذا القطيع الذي اعتبره هيغل بالذات انتاجا من نتاجات التنوير (هوركهايمر، 2006، ص34).لعل من مهام النظرية النقدية حسب هوركهايمر " تأسيس فهم جدلي للذات الانسانية، لا يتوقف عند وصف الصيرورة التاريخية للحاضر فحسب، بل يقوم أيضا على إدراك قوتها الحقيقية المتحولة، وتأثيرها في الصراعات الواقعية" (توم بوتومور، ص21).

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة واسط بتاريخ 2023/7/1

اذن يبدا التشيؤ في النظرية النقدية مما بداه ماركس بطرح تحديدات مجردة حول السلعة والقيمة والمال وما لأثر هذه المحددات على الانواع او العلاقات الاجتماعية واثرت التقنية على الانسان كثيراً وحولته الى مجرد آلة هدفه في الحياة تحقيق رغبات الجسد، فظهرت مفاهيم عديدة اهمها التشيؤ الذي عمل فلاسفة مدرسة فرانكفورت على تحليلها.

ثانياً:- التشيؤ

تكاد تكون مقولة التشيؤ والاعتراب اهم صفات مدرسة فرانكفورت التي يدور عليها النقد والنقاش. ليس على مستوى الماهية والتحليل بل على مستوى التفكير والنقد، يقع التشيؤ ضمن منظومة مفاهيمية رأسمالية عمل فلاسفة فرانكفورت على البحث فيها وتداعبتها في كل من الجيل الاول (هوركهايمر- ادرنوا- ماركيزوز) في تأثير الانتاج والبضائع على الانسان وعلاقاته واعماله، هناك يمكن التمييز بين الانسان الطبيعي الذي يستهلك الخيرات الطبيعية وبين الانسان في الاقتصاد الرأسمالي الذي ينتج البضائع، والتشيؤ يوجد ضمن المحور الثاني لو في النظام الرأسمالي، فعندما تعم البضاعة يصبح الانتاج كله بضاعياً منفصل عن الحاجات الانسانية الاولى، ويتكون نظام انتاجي عام يجمد العلاقات الانسانية او يحولها الى تجارية كما سنرى لاحقاً ويجعلها تظهر في شكل أشياء (العروي، 2009 ص136).

ان المجتمع والبشر ليسوا في واقع حياتهم ما يمكن أن يكونوه بحسب ماهيتهم وإمكاناتهم. ذلك انهم في الحقيقة مغتربون عن هذه الامكانات وتلك الماهية، فالمجتمع الصناعي المتقدم الذي ينصب عليه حديثهم عن هذه المقولة يكشف عن اغتراب الانسان وتشبيئه في ظواهر مختلفة، ومنها ان الانسان تحول في تأثير علاقات العمل الصناعية والرأسمالية الى مجرد عنصر أو جزء ضئيل من جهاز الانتاج الهائل الذ تحده التقنية والالة (الاتمة- الميكنة) وصار عجلة مجهولة قابلة لان يستبدل بها غيرها داخل العالم التقني الضخم الذي يصعب الاحاطة بشبكتة أو بالقوى التي تحرك خيوطه (مكاوي، 2017، ص19).

يؤثر التشيؤ في المجتمع على مستوى العلاقات الانسانية، اذ يظهر للإنسان مجموعة اشياء، آلات ، معامل، اسواق، بورصات، بنوك . هذه الاشياء جامدة، لا تحيا وتنتج إلا إذا أنعشتها الايدي العاملة، لكنها كأشياء تتحكم في حياة البشر، ان مستوى العملة، كما يصدرها البنك المركزي، هو الذي يتسبب في توسيع الانتاج او تقليصه، ان هذا التشيؤ يظهر فيه العمل الانساني في صورة شيء جامد مستقل عن العامل، هو اصل استلاب

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة

واسط بتاريخ 2023/7/1

الانسان وفقدانه حريرته، حيث يصبح خاضعاً لقوة خارجة عن ارادته. والاستلاب الاجتماعي هو اصل اسقاط الحرية والمبادرة البشرية على كائن متعال يتحكم من بعيد في الاشياء وفي الناس(العروي، 2009 ص137).

فالتشيو اصباغ الشئئية وقد يشتمل على معاني ضمنية عديدة بدأ من ماركس في الفيتشية السلعية وجورج لوكاش الذي مزج أفكاراً بين كل من ماركس وفيرر في هذا المفهوم، فماركس يميز بين البضائع أو السلع التي تنتج قيمتها الاستعمالية والبضائع والسلع التي تنتج لـ قيمتها التبادلية، وهذا ما يبين القيمة التبادلية للسلع، فمع الرأسمالية اصبحت تقاس الاشياء نظراً لسعرها من دون قيمتها أو سعرها في السوق، وهذا ما يحدد كذلك العلاقات الاجتماعية على اساس طبقي، فالإنسان يقاس على اساس ما يملك وليس حسب ما يقدم للمجتمع من فائدة " فالواقعة الاهم التي تختفي خلف اثمان السلع المتبادلة هي علاقات الاستغلال الاقتصادي: العلاقات الطبقيية. فالسلع تبدو كان لها سعراً متأصلاً فيها بصورة طبيعيية، مع انه في حقيقة الامر نتاج سيرورات اقتصادية اوسع... فيبدو سعر السلعة امراً طبيعياً الى ابعد حد حتى اننا نقوم السلعة بسعرها. ويشير ماركس الى ان السلع، على الرغم من كونها نتاجاً انسانياً انما تتحل الشكل الوهمي للعلاقة بين الاشياء" (هاو، 2010، ص102). وبهذا تتحول العلاقات الاجتماعية الى اشياء ثابتة يحددها السعر أو قيمتها السوقية والمنفعة بعيداً عن اصلها الانساني.

فالعلاقات الانسانية اشبه بالعلاقات التجارية، أن التشيو الناجم عن الصلة التجارية يحصل على معنى فاصل، أكان بالنسبة لتطور المجتمع الموضوعي أو لموقف الناس اتجاهه، لإخضاع وعيهم الى الصيغ التي فيها يعبر عن هذا التشيو، فالصيغة التجارية تحدد الطابع الاجتماعي لعمل الناس الخاص، وتعرضه كطابع موضوعي لذات نتاجات العمل، كخاصيات اجتماعية طبيعيية لهذه الاشياء، وبالنتيجة، بذات الصيغة، تصبح الصلة الاجتماعية للمنتجين لمجمل العمل، كصلة اجتماعية خارجة عنهم، صلة بين أشياء. وبهذا الخطأ تصبح نتاجات العمل سلعاً، وأشياء فوق الاحساس مع كونها محسوسة، أو أشياء اجتماعية (لوكاش، 1982، ص82).

الا ان لوكاش لم يصر على هذا المفهوم اي التشيو بل شكك فيه في مراحل سابقة معتبراً اياه مفراطاً في كليته وسليبيته ورأى أنه ما دام التشيو مشتملاً على اعضاء الطابع الموضوعي على الاشياء، فان على المرء الا يمضي في تشككه الى ما نهاية ، فقدره البشر على اعضاء الطابع الموضوعي على الاشياء والتلاعب بها ليست مقتصرة على الراسمالية، بل هي جزء من قدرة كونية شاملة تمكنا من حيازة بعض السيطرة على حيواتنا (هاو، 2010، ص105).

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة واسط بتاريخ 2023/7/1

حسب الاختلاف بين المجتمع والمعرفة او (وحدة الذات والموضوع) يمكن التمييز بين نوعين من التشيؤ الاول حول المعرفة والثانية حول الانسان والمجتمع وهذا ما نجد انعكاسه على الذات، " ففي تصوراتنا لمفهوم الذات نجد بعداً مزدوجاً: فمن جهة أولى نجد الجانب الايدلوجي، ونجد من جانب اخر ان الذات بمثابة قوة يتغير المجتمع من خلالها... أن معرفة تشيؤ المجتمع لا تعني تشيؤ المعرفة، الا وقعنا في المعرفة الآلية – الميكانيكية" (أدرنو، ص123) في شكل الآلة يتطور العقل المنشيء نحو مجتمع يصلح الفكر المتجمد في التجهيز المادي والفكري مع ما يعيش حراً مرسلأ هذا الفكر للمجتمع كما الى ذاته الفعلية، لا قسمة بين أصل الفكر النوعي وبين منظوراته الكونية، وبمجرد أن صار العالم صناعياً صار بإمكان المنظورات الكونية والتحقق الاجتماعي للفكر ان يمتد بعيداً (هوركهايمر، 2006، ص60). ولهذا السبب قد يقمع الوعي والفكر بوصفه ايدلوجيا ولعل هذه الصفة التي يوظفها هابرماس في بيان الوعي المزيف الوعي المودلج الذي ينتجه القادة او المهيمين على المهيمن عليهم كما سيتضح في تشيؤ الوعي او العقل .

ثالثاً - التشيؤ بصفة العقل (جدل العقل - الوعي)

لم يعد هذا المفهوم(التشيؤ) مقتصرأ على فلاسفة الجيل الاول للمدرسة وما جاءت به بل للجيل الثاني فنجد هابرماس اول من سك مفهوم التشيؤ بصفة العقلانية، "العقلنة بوصفها تشيؤاً في محاولة لالتقاط الروح التي تسري في الاعمال المتنوعة التي قدمها الجيل الاول من النظرية النقدية 000 وتشير فكرة التشيؤ الى العملية الذهنية التي تجعل أمراً ما ثابتاً، أشبه بالشيء" (هاو، 2010، ص101) لذلك ارتكزت فلسفة ادرنو على نقد العقل ولكن ليس العقل بصورة مطلقة بل ما يعرف بالعقل الاداتي الذي سيطر على الانسان من جديد.

يقصد فلاسفة النظرية النقدية ب العقل الاداتي او العقلانية التقنية نوعاً من التفكير السائد في المجتمع الصناعي الحديث، يطلقون عليه كذلك اسم العقل الذاتي والتقني والشكلي، ويتضح هذا التفكير بأجلى صورة في اسلوب التفكير العلمي والتقني (مكاوي، 2017، ص19).

يشير ادرنو كما مر في سياق البحث في فصل الذات عن الموضوع المبحوث ويتضح ذلك في العلوم الانسانية لا سيما الاجتماعي منها الذي يتحد فيه الموضوع والذات معاً، مما يعكس العلاقة بين التشيؤ والذات المتشيئة او الوعي المتشيئ الذي هو: وعي يتجه باتجاه نموذج وظيفة الية أنظمة المفاهيم الناشئة، والذي حوله الموضوع الذي حل فيه إلى شيء ثابت متختر. أن الشيء الذي لا يعدو كونه هنا والان لهو شيء قاس بمجرد تصوره وفي اللحظة عينها وهنا يجيب التمييز بين العلوم التي مجرد حوادث تاريخية وصفية وبين

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة واسط بتاريخ 2023/7/1
العلم الذي يتناول المجتمع بوصفه سيرورة متغيرة وفقا للحياة المعاشة ولا يكون ابدا بصورة جامدة (أدرنو، ص121).

لقد اثرت التقنية المعاصرة وكذلك مفهوم التقدم على الانسان اذ فقد حريته، وفرضت حصارا على الوعي فنتشيا واصبح بمثابة اداة يستغلها الحكم الموسساتي لتحقيق منافعه الخاصة واصبحت بعد ذلك الحضارة المعاصرة تؤمن بنظام هدفه في تعقيل الاحرية التي تجعل من استعباد الانسان شيئا لا مفر منه، لقد قام النظام المعاصر المتقدم صناعياً بتشبيئ العقل . (شريف، 2017، ص531) .

فمع تشيؤ العقل تصبح العلاقات بين الناس، وعلاقة الانسان بذاته بمثابة علاقات مسعورة، فقد نجح العقل الأداي في تشيؤ الانسان واستخدامه من قبل المؤسسات الاقتصادية والسياسية واجهزتها الايديولوجية القائمة على تكريس المصلحة والهيمنة بصورها المختلفة، وقد ترتب على ذلك ان العقل عندما استخدم هذا الاستخدام الاحادي نظر ايضا الى موضوعاته نظرة احادية ، هي نظرة السيد للمسود، فكرس بذلك اغتراب الموضوع عن الذات واغتراب الذات عن الموضوع، وترجمت العقلانية الى نظم شمولية وتسلطية بدورها. (بومير، 2010 ص 14- 15).

تتجلى ظاهرة التشيؤ في تسلط النظم البيروقراطية وأساليب القمع الاداري المختلفة التي تجعل الانسان نهياً لمظاهر القهر الخفية والسافرة في المجتمع الصناعي المتقدم الذي أحكمت أجهزة الادارة قبضته عليه بحيث سلب البشر فرديتهم وانحطت قيمتهم الانسانية والذاتية تحت ضغط عملية الانتاج الآلية الى مستوى الشيء الذي تشكله القوى المسيطرة كيفما شاءت (مكاوي، 2017، ص19)

لم يقتصر التشيؤ على العقل بل حتى على العلاقات الاجتماعية والقيم الانسانية كما مر سابقا، فحولت الحضارة المعاصرة بسبب التقدم التكنولوجي الانسان بصفته واعى الى مستهلك فحسب والعمل على اشباع رغباته ليس الا وبذلك تمتزج الرغبة والحاجة في الانتاج " فكل ما ينتج يكتسب معنى السلعة التي في الاصل جهد انساني، فتعوم السلع والرغبات في علاقة انتاج- استهلاك دون مراعاة عقلية لقيم الانتاج من الناحية الانسانية، ولا تحديد لدوافع الاستهلاك استناداً الى حاجات حقيقية" (شريف، 2017، ص531).

ولكي يناهض أدرنو التشيؤ ، أنجز نوع من المغالاة والافراط في تشيؤ المتشيئ، واقعية ادرنو ليست ساذجة وإنما هي واقعية ناقدة، فهو لا يثبت ابدا، وانما ينفي باستمرار، آلة النفي عنده لا تعرف استقرار. ذلك

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة واسط بتاريخ 2023/7/1

لان العالم الذي نحيا فيه هو حيث كل ما فيه يسير نحو هلاكه، وتلاشيه فادرنوا هو النفي في تجسده، حتى تصل سلبيته الى المطلق وهو الشر المطلق او السلبية التي تظهر في فلسفته (مؤلفين، 2012، ص104).

ان القضاء على التشيؤ واضعافه يتعين أن يقود الى القضاء على العنصر الحاسم الذي يولد في الرأسمالية الكلاسيكية بصورة دائمة وهما: (غولدمان، 2009، ص134) .

- إحلال الكم محل الكيف، والعقلاني محل الحياتي.

- احترام الحرية والمساواة الشكليتين للأفراد

- رابعاً:- فلسفة الفن والثقافة .

حاول ادرنوا الخروج من الهيمنة وحالة الاغتراب والتشيؤ بوساطة الفن ، فمقاومة الهيمنة لم يعد متاحا الا بالفن، وبقصد ادرنوا بالفن هو ذلك الوجود الاصيل الذي يخرجنا من دائرة التسلط، ولا يخضع للهيمنة والسيطرة التي تحكم بلياتها العنكبوتية الحياة المعاصرة، فالفنان يجعل من الغائب حاضراً في عمله الفني، الغائب من القيم الجمالية والدينية والروحية والحسية، التي لم يعد مشروعاً لها البقاء في منظومة الاستهلاك/الاقتصاد المعاصرة، ولهذا كان اهتمام ادرنوا بالفن، كاملا اخير للخروج من ربقة هذه الاحكام التي تمارس اجهزة الاتصال على وعي البشر، وتدفعه الى الدوران في فلك الاستهلاك والحياة التي تخضع لها.. فالفن عند أدرنوا بهذا المعنى هو جدل سلبي.

نقل ادرنوا مفهوم التشيؤ في ابعاده المختلفة الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية الى الحقل الفني – الجمالي- الثقافي، " قد تتبع أدرنو تأثير الاغتراب والتشيؤ في الحقل الفني والجمالي، وبين كيف تطور في ظل المؤسسات القائمة التي تحمها العقلانية الادائية ، وخاصة في المجتمعات المتقدمة تكنولوجيا، وما يسمى بالصناعة الثقافية التي تروج عبر وسائل الاعلام والاتصال والدعاية ، من اذاعة وتلفزيون وسينما وصحافة ، التي أفرغت الفن من وظيفته ومضمونه الحقيقي، وحولته الى مجرد وسيلة تسلية أو أداة تأثير في الناس ، والتلاعب بهم" (بومنير، 2010، ص93) وقد يصل كذلك الى مجال الرغبة ومنها الرغبات الجنسية التي تتحول من المتعة الى الاستهلاك المتعي الذي يصل احياناً الى مستوى استثارة غرائزهم الجنسية ونزعاتهم العنفية قصد تشكيل إنسان نمطي وفق التوجيه الذي تحدد المؤسسات الاقتصادية والسياسية والثقافية القائمة وبهذه الكيفية أصبح الحقل الفني والجمالي مجرد أداة للتأثير الايدلوجي على الناس ، والترويج للقيم

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة واسط بتاريخ 2023/7/1
الاستهلاكية والتجارية والثقافية القائمة، مما فقد أصالته واصبح شيئاً يقصد به الاستمتاع السطحي والتسليوية (بومير، 2010، ص94).

التشويؤ قد لامس اكثر القضايا التي تمس الانسان ، لقد تشيئت ارتكاسات البشر الاشد جوهرية ذلك التشيؤ الشامل حتى باتت الفكرة المتعلقة بأي شخص خاص بهم تبرز الآن كما لو انها تصور مجرد تماماً، (هاو، 2010، ص116) وهذا ما يدل على تعامل الانسان من الاشياء، فادرنو يوضح بان المستهلكين يستهلكون السلعة بلهف وتوق ، ليس لأنه مفروض عليهم بل لأنه جزءاً من طريقة الحياة، اذا يتعامل الانسان مع الاشياء المستهلكة والثقافة المنحطة والفن البعيد عن الذوق. فالبشر يدركون حقيقة السلع الثقافية الا انه لم يتصور بان هؤلاء البشر هم بانهم سذج او مغفلون ثقافياً . فأن نكون سذجاً ومخدوعين هو أمر ينطوي على وجود شرط آخر ينبغي ان نطمح اليه لا سذاجة فيه ولا خداع، فالفرد يعلم حقيقة استهلاك الاشياء او السلع يأتي عن طريق التطلع على استعمالها او الادمان (هاو، 2010، ص 117).

ان صناعة الثقافة عند ادورنو ليست عملية احتيال بل شعيرة تعديية أو تنسيب الى الكيفية التي ينبغي ان يكون بها البشر وينظروا الى انفسهم. فالمطلوب الآن هو أن نتعلم من النجوم الجدد ما يعنيه ان يكون فرداً، ف صناعة الثقافة : التنوير بوصفه خداعاً جماهيرياً، وهو لا يقول ان صناعة الثقافة تخدع الناس وحسب بل انها تعرض هذا الخداع بمزيد من الالتباس على انه شكل من التنوير وهكذا تصل سيرورة التشيؤ الى حالة من التحقق الكامل (هاو، 2010، ص117).

قد تتبع ادورنو تأثير ظاهرة الاغتراب والتشيؤ على الفن والابداع، وبينوا كيف انحط العمل الفني في ظل المجتمع الصناعي وظروف صناعة الثقافة وعملائها واجهزة انتاجها والاعلام عنها، الى ادنى مستوى السلعة في سوق الاستهلاك والمزايدة، مما فقدت اصالته وشموله وفعله المباشر في القلوب والعقول، بحيث أصبح مجرد شيء يقصد بها الاستمتاع السطحي والتسليوية في اوقات الفراغ، ولم يبق أثر للعلاقة الحية للعمل الفني ولا الفهم المباشر لوظيفته بوصفه تعبيراً عن الحقيقة (مكاوي، 2017، ص20) وفي هذا اختلف القواعد والمعايير الفنية ، فلم يعد الاساس في عملها الذوق بل ما يمكن ان تحققه من اكبر عدد من الجماهير حتى لو كان على حساب خداعها.

يمكن الاشارة الى تأثر ادورنو في فلسفته الجمالية بكل من ماركس وهيغل، ولاسيما في مسألة العمل الفني والحياة الاجتماعية، وذلك لان العمل الفني في رايه لا بد ان ينطلق من الحياة الاجتماعية لا ان يبقى سجين

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة

واسط بتاريخ 2023/7/1

المنظورات الميتافيزيقية والانطولوجية وان كان ذلك فيه تداعيات على حساب الذوق الفني انطلاقاً من فلسفة هيغل الثلاثية الفلسفة والدين والفن للتعبير عن الروح المطلق ومن هذا المنطلق يتفق ادورنوا مع هيغل في ان الفن يحمل حقيقة لا تنفصل عن الوضع الاجتماعي والتاريخي الذي يعيشه البشر، فالفن يكشف عن الحقيقة التي هي اجلاء لزيغ وضعية العالم الاجتماعي (بومنير، 2010، ص95). وبذلك لا يمكن للفن ان يكتسب اي معنى اذا لم يعبر عن تناقضات الانسان وهمومه واننشغالاته.

لقد اسس ادورنو مفهوم البراكسيس بالرجوع الى هيغل وقد ربط المبادئ الاخلاقية بافتراض العقلنة، اذ لا يمكن أن تكون هناك اشكال ناجحة خاصة بالتنشئة الاجتماعية الا بتوحيد أساليب مشتركة للعقل بحيث تمثل غايات عقلية للتحقيق الذاتي من منظور كل الذوات الفردية واذ كان ادورنو الى هذا الامر انطلاقاً من نموذج التواصل النزيهة أو المترفع والذي لا يتضمن غائية ما قد وصفها عن طريق المثال النموذجي للحب او الايثار الخالي من الانانية والغائية، فمرد ذلك اتفاقه مع ماركيز بخصيص نظراته الجمالية القائلة بأشكال الفعل المشتركة والمتناسبة أكثر من فكرة تحقيق الذات هي تلك الاشكال التي يمكن ان تتجلى في الطبيعة الانسانية بالصورة التي تكون خالية من القهر والاكراه، فيتم إشباع الحاجات من خلال التفاعل مع الاخرين (بومنير، 2010، ص145) وبهذا يتجلى الجانب الجمالي والسياسي معاً في التحرر من الاكراه أو الاضطهاد، فغاية الفن تقديم صورة حية حقيقة عن الاشياء وغاية السياسة تحريرها.

خامساً:- يورغن هابرماس - فلسفة التواصل

عمل هابرماس الخروج من السيطرة على الاشياء وصناعتها من خلال الفعل الاداتي في محاولة لسيطرة الذات على موضوعها ومسكة من اجل الهيمنة عليه، او تحويل كل ما يحيط بها الى شيء حتى العقل نفسه، نلاحظ هنا تشيؤ العقل الذي اول ما بدا مع هابرماس، بل نجد محاولات ايجاد لغة للحوار لم تكن عند فلاسفة الجيل الاول من فلاسفة النظرية النقدية في عامل التواصل او ما يعرف في الفضاء العام لذلك سيكون التركيز على الوعي وبيان الوعي الحقيقي من الزايف المؤدلج.

فقد اهمل فلاسفة النظرية النقدية من الجيل الاول اهمية العلاقة بين الافراد من التركيز على العقل الأدائي لذلك حاول هابرماس، "تجاوز فلسفة الوعي والتغلب على ما تنطوي عليه الذات- الموضوع من مؤديات أدائية، " (هاو، 2010، ص94) فقد حاول هابرماس إعادة صياغة البناء العقلاني الاجتماعي فأصبحت شروط السلوك العقلاني في رايه لا تقتصر على مستوى معرفي الاداتي بل تمتد أيضا الى مجال الاخلاق

وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة

واسط بتاريخ 2023/7/1

العلمية (مجموعة مؤلفين، 2012، ص225). والتأسيس لما يسمى بالفعل التواصل كما هو عنوان كتابه. محاولة منه في كشف التزييف وازالة الغبار عن الوعي ليكشف الحقيقة .

فقد كان على هابرماس مهمة اماكن التمييز بين التواصل المشوه والتواصل غير المشوه، وذلك بالنظر الى الفهم الذاتي للأطراف المشتركة فيه، والكشف عن الضغوط واشكال القمع او القهر التي تفسد حديثهم بجانب التدليل على ان المعايير والقيم التي تستند اليها افعال التواصل في المجتمع وفي العلوم الاجتماعية والانسانية تسمح بالموافقة او الاجماع العقلي عليها (مكاوي، 2017، ص68) وهكذا طور فلسفته وصولا الى تأسيس نظرية فعل التواصل.

يقصد هابرماس بالفعل التواصل ذلك التفاعل المصاغ بواسطة الرموز. انه يخضع ضرورة للمعايير المعمول بها، والتي تحدد تطلعات السلوكيات المتبادلة بحيث يتعين ان تكون مفهومة ومعترف بها من طرف شخصين على الاقل والتي من خلالها يصل الى لغة محددة في التخاطب والحوار، علما ان الحوار في سياقه الاجتماعي اداة للقضاء او لتجنب الحالات المرضية التي تصيب المجتمع في لحظة ما، ولتحقيق نوع من الاندماج الاجتماعي من دون عنف او تطرف والوصول الى حقائق متوافق عليها، يلعب الحوار فيها دوراً اساسياً (بومنير، 2010 ص119)، علما ان اتيقا الحوار والمناقشة لا تبني على حقائق مطلقة او مقدمات مثبتة مسبقاً.

اما العلاقة بين الحوار واللغة التي من خلالهما تأسس اخلاق المناقشة، فان "التفاهم عند هابرماس أمر يقوم على ربط الفعل التواصل بالغة كأداة لتنظيم الافعال الاجتماعية وبالتالي فان اللغة عنده ليست مجرد وسيلة لنقل الافكار والمعلومات فقط، وانما هي ربط من الروابط الاجتماعية الاساسية الذي يؤدي الى التداوت المشترك والتفاهم المتبادل الذي يخلو فيه الفرد عن ذاتيته الطبيعية وينخرط في الاطار الاجتماعي القائم على التواصل والتداوت والمناقشة الحرة (بومنير، 2010، ص120).

وبذلك عمل هابرماس على الخروج من حالة التشيؤ والاغتراب من التأسيس لفلسفة الحوار والتواصل الانسان مع ذاته ومع الاخرين ليتخلص من هيمنة السلعة التي حولته الى آلة او ماكينة يمكن تبديلها او اتلافها في اي وقت.

- الخاتمة

اذا التشيؤ مع ماركس ولوكاتش يميل الى الجانب الاحادي الاقتصادي، فان مع ادنوا يسير على عدة محاور ومجالات فهي تطال القيم الانسانية والعلاقات الاجتماعية. ويتضح ذلك في التمييز في التشيؤ بين المعرفة والمجتمع، فاي تشيؤ فيهما يعمل على موت الحياة، وهذا ما نتج في ظل النظام الراسمالي والصناعي الذي حول كل ما هو انساني الى مادي او سلعي بالإمكان التبادل فيه او بيعه حتى الملذات اصبحت تعبر على جانب سلعي، الا اننا يمكن نقد ادنوا في ان التشيؤ لم يقف عند حد معين بل طال حتى المتشيء من الاشياء في شكل من التطرف والمغالاة فمن النقد الذي يمكن ان تقع فيه الذات المتشيئة انها تذوب في الموضوع و لا تتفصل عنه ولذلك وحدة الذات والموضوع في العلوم الانسانية من القضايا التي تعمق الشرخ في الوصول الى الحقيقة لان المبحوث هو ذات الباحث ، الان ان تحويل الاشياء الحسية الى جماد سواء في ظل النقدية الكلاسيكية في سيطرة الطبيعة او النقدية المعاصرة في هيمنة التقنية والالة كلاهما حول الانسان الى شيء وقد ازاحت انسانيته .

كانت محاولة ادنوا واضحة في الخروج من التشيؤ بوساطة الفن الا ان الاخير تشيؤ ولم يعد يؤدي الرسائل التي جاء من اجلها في اصال الحقيقة، فصناعة الفن كانت على حساب خداع الجماهير في ظل المجتمع الصناعي من انتاج الرموز الفنية، والنص بما يلائم الجمهور ليس الا، اما هابرماس سعى جاهدا الى كشف الخداع من خلال ما جاء به فلسفته التواصلية واتيقا الحوار وكان تحرر الفن بوساطة السياسة.

- المصادر

أكسل هونيث. (2012). *التشيؤ (دراسة في نظرية الاعتراف)* (المجلد الاولي). (كمال بومنيير، المترجمون) الجزائر: مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع.

ألن هاو. (2010). *النظرية النقدية/ مدرسة فرانكفورت* (المجلد الاولي). (ثائر ديب، المترجمون) الاسكندرية: دار العين للنشر - المركز القومي للترجمة.

بوعلام بن شريف. (2017). *مفهوم التشيؤ وأشكاله لدى هيربرت ماركيزوز* (المجلد 1). الجزائر: المفكر _ مجلة محكمة خاصة بطلبة الدكتوراه - جامعة الجزائر 2.

- وقائع المؤتمر العلمي السابع تحت شعار (العلوم الانسانية بين التحديات الراهنة والافاق المستقبلية) الذي اقامته كلية الآداب في جامعة واسط بتاريخ 2023/7/1
- ثيودور فون أدرنو. (بلا تاريخ). *محتضرات في علم الاجتماع*. (جورج فكتورة، المترجمون) لبنان: مركز الانماء القومي.
- جورج لوكاش. (1982). *التاريخ والوعي الطبقي* (المجلد الثانية). (د.حنا الشاعر، المترجمون) بيروت: دار الاندلس.
- جون ليشته. (2008). *خمسون مفكراً أساسياً معاصراً* (المجلد الاولي). (فاتن البستاني. مراجعة: محمد بدوي د، المترجمون) بيروت: المنظمة العربية للترجمة. مركز دراسات الوحدة العربية.
- عبد الغفار مكاوي. (2017). *التظيرية النقدية لمدرسة فرانكفورت*. هاي، ستريت، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي سي أي سي.
- كمال بومنير. (2010). *النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت (من ماكس هوركهايمر الى اكسل هونيث* (المجلد الاولي). الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون- منشورات الاختلاف.
- لوران آسون- بول. (2005). *مدرسة فرانكفورت* (المجلد الثانية). (سعاد حرب د، المترجمون) بيروت، لبنان: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع .
- لوسيان غولدمان. (2009). *الحدث الفلسفية - نصوص مختارة* (المجلد الاولي). (عبد السلام بنعبد العالي محمد سبيلا، المترجمون) بيروت ، لبنان : الشبكة العربية للابحاث والنشر .
- ماكس- أدرنو، ثيودورف هوركهايمر. (2006). *جدل التنوير- شذرات فلسفية* (المجلد الاولي). (جورج كتورة، المترجمون) دار الكتاب الجديد المتحدة.
- مجموعة مؤلفين. (2011). *ثيودور أدرنو من النقد الى الاستطيقا (مقاربات فلسفية)* (المجلد الاولي). الجزائر: منشورات .
- مجموعة مؤلفين. (2012). *مدرسة فرانكفورت النقدية (جدل التحرر والتواصل والاعتراف* (المجلد الاولي). (علي عبود المحمداوي 0 د. اسماعيل مهناة د، المحرر، و الباحث: د. اليامين بن تومي، المترجمون) وهران: ابن النديم للنشر والتوزيع_ دار الروافد الثقافية .